قصه مصريه

حكمت المحكمة !...

عم الأسف رجال القرية ونساءها عند ما علموا بوفاة ابنة عبد الدايم المسعودى — وهو من الأعراب الذين يسكنون الخيام فى أرضهم — فأما الرجال فقد أشفقوا على عبد الدايم لأنه فقدها وفقد أمها فى عام واحد ، فلم يبق له من بعدهما من يرعى غنمه ويعنى بشئون بيته . وأما النساء فقد ذكرن أن سلمى ماتت فجأة فلم تمرض كغيرها ، وأنشأن يترحمن على شبابها وحلو ابتساماتها . . . وتدافع الأهالى وراء نعشها يشيعونها الى مقرها الأخير . ثم أقبلوا على والدها يعزونه بكلماتهم المحفوظة وهو يرد عليهم بمثلها ، فهو « عظم الله أجره » وهم « شكر الله سعيهم » ورجع الجميع الى بلدتهم ليقيموا ليالى المأتم الثلاث وليسمعوا ما تيسر من القرآن ، وعند الغروب خرج أهالى كفر المعداوى كل « بطبليته » الى المأتم وعليها عشاؤه الممتاز استعدادا لأطعام المعزين من البلاد المجاورة ، وجلسوا بعد الصلاة ، وقد تنحنح المقرىء ايذانا بقراءة القرآن ، فأنصتوا وأطفأوا سجائرهم ثم بدأ القارىء بصوت منخفض غير مسموع تدرج به قليلا قليلا حتى أصبح يغطى على همس بعضهم بالتحية لبعض ، ويخفى أحاديثهم عن الشئون الزراعية - وقد بدأوها بعد أن بدأ الفقيه بقليل - بنغمات يطرب البعض لها فيمص شفتيه ويردد لفظ الجلالة اعتبارا واستحسانا . أما عبد الدايم فقد كانت تبدو على سيماه علامات التفكير العميق والحزن الدفين ، ولكنه كان يتجلد للقادم فيسلم عليه ويتقبل تعزيته شاكرا .

وانقضت ليالى المأتم . . . وتلفت عبد الدايم حوله فلم يجد الا غنمه ونفسه فقبع فى خيمته لا يزور أحدا ، وانما كان يزوره من فاته العزاء فى حينه . وانتقد أهل القرية فيما بينهم ابراهيم افندى لأنهم لم يروه فى المأتم ، ولكنهم علموا بسفره الى القاهرة منذ ايام فلما عاد لحظوا أنه لم يقم بواجب التعزية لعبد الدايم ، فبرموا بغطرسته واستكباره ، ولكن ماحيلتهم وهو ابن العمدة !

مرت الأيام بعد ذلك سراعا فأوشكت بفعلها أن تصرف أذهان الناس عن مصاب عبد الدايم لولا أنهم رأوا عجبا . رأوه وقد طوع للموسى أن تجذ شاربيه الطويلين وتعبث بلحيته المستعصية حتى أسفرت ذقنه بعد احتجاب طويل ، مع أنهم يعرفون فى الأعراب تمسكهم بشواربهم ولحاهم ، ولم ينسوا مبالغة عبد الدايم فى هذا . فلم يبق الا أن الحزن قد أساء الى عقله فحسن له جنونه أن يظهر على هذه الصورة الجديدة

وذهب الحاج عبد المطلب وهو أحد مشايخ البلدالى « دوار » العمدة فى المساء جريا على عادته فوجده جالسا فى عدد من حاشيته يتحدث اليهم فى السياسة عن مصطفى كمال وكيف طار وراء الأنجليز ، ويعرج على الاقتصاد فيعلل لهم نزول الجنيه الأسترلينى بتعليلات ما أنزل الله بها من سلطان . ولما انتهى العمدة من حديثه اتجه بنظره الى الحاج عبد المطلب وسأله عن جديد ، فأنشأ شيخ البلد يسرد له صنوفا من الأخبار ويتبسط فى شرح تفاصيلها الى أن قال وما رأيكم فى عبد الدايم السعودى ؟ يظهر أن الرجل قد جن بعد وفاة ابنته » ولم يكن العمدة على علم بما جرى للحية عبد الدايم فهز رأسه من اليمين الى اليسار هزات سريعة مستفسراً ، وتسابق الجميع الى إجابته فحدثت جلبة وضوضاء نفذ لهما صبر العمدة فوصفهم بوصف البرابرة : واحد يسمع ومائة يتكلمون ، وأشاح عنهم بوجهه الى الحاج عبد المطلب يسأله عما جرى فلما أخبره بأن عبد الدايم أصبح حليق الذقن والشارب تردد فى تصديق ذلك ولكنهم أكدوا له صحة الخبر فرفع حاجبيه فى عجب ودفعه حب الاستطلاع الى أن يأمر شيخ الخفراء باستدعائه .

وجاء عبد الدايم بعد قليل فدهش العمدة عند مرآه وسأله عن سبب حلقه للحيته فأجاب ساخرا إنه رأى واحدا من أهل القرية يضحك منها فآثر أن يزيلها . وقابل أحد الجالسين سخريته بمثلها فقال : « وكيف استغنيت عنها مع أنك كنت تمسح فيها يديك بعد أكل الثريد ؟ » فتجهم وجه الأعرابى وجحظت عيناه وقال « لما اتسخت أزلتها » فقال العمدة « وما ذنب شاربك ؟ » فأجاب « صغرت فى نظر نفسى فحلقته » وخرج مغيظاً محنقاً . . .

وكان بالمجلس شيخ معروف فى القرية بالنباهة ودقة الملاحظة فقال للعمدة « إن لم تخنى فراستى فلا بد أن أحدا اعتدى عليه اعتداءاً خطيرا أقسم بعده - كما هى عادة بعض الأعراب - ليحلقن ذقنه وشاربه تشبها بالنساء حتى يأخذ بثأره » . فأخذت هذه الملاحظة مكانها من نفوس الحاضرين وصار كل منهم يعلق عليها بما يؤيدها ، أما العمدة فتدهمه الأمر وحسب لتهديد عبد الدايم حسابه ، فهو داهية شديد البأس وتداول الأمر مع مشايخ البلد فأفهمه الشيخ عبد المطلب - وكان على جانب من العلم - أن من واجبه العمل على منع

الجرائم قبل وقوعها واطمأن العمدة الى هذا الرأى فعزم على تبليغ المركز وقام إلى التليفون فاتصل بالمعاون

وعلم المأمور بالأمر فضحك من عقلية عمدة المنشية الذى يحد فى حلق رجل لحيته وشاربه خطرا على الأمن العام خصوصا وأنه كان يرى فيه من قبل سنداجة وقلة حيلة ، فأمر ملاحظ البوليس أن يستدعيه ليونجه على تصرفه ويطلب اليه أن يكون فى حكمه على الحوادث أبعد نظرا وأكثر رزانة . ورجع العمدة ونفسه تفيض أسفا على تبليغ الأمر للمركز بعد ماراعته ضربات الملاحظ على المكتب ، وجرحت عزته شتائمه ليكان يسب مشايخ بلده الذين حسنوا له التبليغ ويخص منهم الشيخ عبد المطلب وهو المتحذلق الذى أشار عليه بالعمل على منع الجرائم قبل وقوعها . ولكنه كان يحاسب عقله فلا يجد فى عمله مأخذا ، ويستشير ضميره فيلقاه راضيا عن قيامه بواجب وظيفته ، ثم يرجع بذاكرته إلى الماضى القريب فيذكر أنه لما قتل فى قرية بجوارهم سويلم العربى حلق ابنه جويفل لحيته وشار به حتى أخذ بثأر أبيه فأطلقهما فى السجن ، وهكذا اختصمت أفكاره فضاع صوابه . . . .

أسدلت يد الأيام ستار النسيان على هذا الحادث حتى جاء يوم فرفع الستار . . . . فى صبيحته امتطى ابراهيم افندى صهوة جواده يقصد السوق فعاد الجواد يعدو إلى مربطه بعد قليل وكان العمدة مطلا من شباك داره فلما رآه انخلع فؤاده لأن ذلك معناه أن سوءاً حل بولده . ونزل يجرى فى الطريق الموصل إلى السوق منفعلا هائجا فلحق به أهل القرية من كل صوب ولم يذهبوا بعيدا حتى وجدو ابراهيم أفندى ملقى بجوار مزرعة للقصب يتلوى ألما ورأوا أن رصاصة استقرت فى فخذه

يا لهول الفاجعة ! ! حتى أبناء العمد يعتدى عليهم ! ! ولم تحم الشبهات إلا حول عبد الدايم فانبث الخفراء فى أزقة القرية يبحثون عنه بعد أن لم يجدوه فى خيمته ، واهتزت الأسلاك تنقل الخبر إلى النيابة ؛ أما الجريح فقد نقل إلى مستشفى الزقازيق ليسعف بالعلاج . وبعد برهة وصل وكيل النيابة ثم تبعه ضابط المباحث على رأس قوة من البوليس ففتشوا بيت عبد الدايم فلم يجدوا شيئا يفيد التحقيق ، فخطر لضابط المباحث أن يفتش مزرعة القصب لأنه استبعد أن يظل عبد الدايم محتفظا ببندقيته ، ورجح أن يكون قد ألقاها فيها فعثر رجاله فى انحائها وإذا برجل منهم يعثر على بندقية . . وإذا بالبندقية حديثة الطلق : . . وإذا بكل من رآها يشهد أنها لعبد الدايم

اكتفت النيابة بهذا الدليل فقبضت على عبد الدايم ولكن سر الجناية ظل غامضا حتى وصل اليها بلاغ من مجهول يقول فيه « لقد علمت من أحد المصادر أن سلمى عبد الدايم المسعودى لم تمت ميتة طبيعية وإنما قتلها أبوها لأنه علم باتصالها بابراهيم افندى بن عمدة كفر المعداوى . وقد كان يمكن كشف هذه الجناية فى حينها لو أن طبيب المركز رأى الجثة قبل دفنها ، ولكنه صرح بالدفن مكتفيا بقول حلاق القرية إنها ماتت بسكتة قلبية » فانتقل وكيل النيابة فوراً مع الطبيب الشرعى إلى قبر سلمى وأمر بأخراج جثتها وقال الطب كلمته فاذا بها ماتت خنقا . . . . وختمت النيابة أبحاثها وبدأت التحقيق . . . . .

س — ابراهيم افندى يقول إنه رآك تطلق عليه الرصاص

ج — أبداً

س — وماذا تقول فى البندقية التى عثرنا عليها فى القصب وهى لك ؟

ج — لم تعد لى بندقية منذ أخذها الأنجليز منى وهم يجمعون السلاح فى سنة ١٧

س — وابنتك سلمى ؟ لدى النيابة شهود يقررون أنها لم تمرض مطلقا وأنهم رأوها أمام خيمتها قبل أن تموت بقليل ؟ فهل مرضت وشكت وأحتضرت وأسلمت الروح فى أقل من ساعة ؟

ج — هو كذلك ، فانها ماتت بسكتة قلبية

س — ولكن الطبيب الشرعى أثبت أنها ماتت خنقا

ج — اذن تكون قد خنقت نفسها

س — ولماذا حلقت ذقنك وشاربك بعد موتها ؟

ج — خطر لى أن أتزوج فحلقتهما كى أبدو صغير السن

س — ولكنك قلت فى مجلس العمدة كلاما يستفاد منه أن أحدا اعتدى عليك فحلقتهما حتى تأخذ بثأرك

— ج لم أقل ذلك وانما كنت أسخر من قوم رأيتهم يسخرون منى

س — لقد وصل الى علم النيابة أنه كان بين ابنتك وبين ابراهيم علاقة وأنك من أجل هذا قتلتها وأردت أن تقتله

فضرب الاعرابى جبهته فى عصبية ويأس ورمى وكيل النيابة بنظرة شزراء ثم اندفع يقول اذن فاسمع . انى اعترف بأنى قتلت ابنتى وانى أطلقت الرصاص على ابراهيم . خذنى الى السجن فانى أريد أن أتلهى بأشغاله الشاقة عن لؤم الناس وظلم القانون

واقفل المحضر بعد أن تليت عليه أقواله فأقرها وأمضى . . .

السيد أبو النجا